الأولى حليمة قصّاب، وانجب منها عز الدين وفخر الدين ونبيهة[٥].

الثانية آمنة جلول، وانجب منها أحمد، مصطفى، كامل وشريف[٦].

وفي حدود الرابعة عشرة من عمره (١٨٩٦)، غادر عز الدين القسام قرية «جبله»، متوجهاً الى القاهرة، لدراسة الشريعة في الأزهر. وكان برفقته أخوه فخر الدين، عز الدين التنوخي، رضا مسيلماني، مصطفى مسيلماني، ذيب البيرص، ناجي أديب ومنح غلاونجي[٧]. وكان أخوه من أبيه، مصطفى، قد غادر منطقته كبائع متجول للأقمشة (برجاوي)، وذهب الى اليمن؛ حيث عمل كاتباً في الحديدة حتى توفي مصاباً بمرض الكوليرا، بعد أن أنجب ولدين: عبد المالك وظافر.

الأزهر: الدين والثورة

وما أراد التقاطه في بيئة التناقض الأولى، وجده جاهزاً في القاهرة، على شكل دروس فشل ثورة عرابي. ففي سنة مولد القسام، كانت مصر تقدم تجربتها ببساطة فاضحة.

□ الخديوي توفيق، رمز السلطة الحاكمة، يقف ضدّ ثورة شعبه التي يقودها وزير دفاعه عرابي، ويساند الأسطولين البريطاني والفرنسي في مياه الاسكندرية. ثم يغمض عينيه عن قصف المدينة وتدميرها، ويعود الى القاهرة، في عربات قوات الاحتلال البريطاني، ويبيح عاصمة وطنه للغزاة.

□ قبل قصف الاسكندرية ، لجأت بريطانيا الى المساومة مع عرابي، عبر آل روتشيلد، الأسرة البرجوازية الصهيونية التي تسلمت وعد بلفور لاحقاً. فعرض فرعها البريطاني على عرابي راتباً تقاعدياً مدى الحياة، بمبلغ أربعة آلاف جنيه مصري في العام. وعرض فرعها الفرنسي مبلغ ستة آلاف جنيه مصري في العام، مقابل مغادرته البلاد[٨]. فرفض عرابي المساومة، مثلما رفض الخضوع لابتزاز الاسطول، وقاتل حتى هزم.

□ عرابي، وزير الحربية في وزارة محمود سامي البارودي، أعرض عن قرار الخديوي بعزله (١٨٨٢/٧/٢٠)، وقاتل في التل الكبير (١٨٨٢/٩/١٣)، معتمداً على جيش الفلاحين الفقراء.

□ الشيخ محمد عبده، الصحافي البارز في «الوقائع المصرية» ومجلة «العروة الوثقى» ومدير المطبوعات في عهد رياض باشا، كان في الاسكندرية يوم قصفها الأسطول (١٨٨٢/٧/١١)، وظل مع ثورة عرابي، وتحمل شرف السجن والمحاكمة والنفي لمدة ثلاث سنوات، ولم يتراجع.

هكذا كانت تختلط ملامح رجل الدين المتنور بملامح رجل الثورة، وهما معاً، على تضاد دائم مع قوات الاستعمار وأدواته في قمة السلطة أو في مؤسساتها وقاعدتها.

ويبدو أن فترة دراسة عز الدين القسام في الأزهر، تقع أثناء مشاركة الشيخ محمد عبده، كممثل للخديوي عباس الثاني في مجلس الادارة، ما بين ١٨٩٥/١/١٥ و١٩٠٥/٣/١٩. والأرجح أنها كانت بين ١٨٩٦ و١٩٠٤، وبخاصة أنه نال الشهادة الأهلية التي تتطلب ثماني سنوات من الدراسة. لذلك كانت فترة دراسته كلها، تتلمذاً على يد الشيخ محمد عبده.

وشهد الأزهر، في هذه المرحلة، حملة التجديد التي قادها الامام محمد عبده. فحوّل